وُدُّ السُّلطان

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

الخطبة النورانية التطنجية ١

الخطبة النورانية الافتخار ٣

الخطبة النورانية المفاخرة ٥

الخطبة النورانية النورانية ٧

الخطبة النورانية الوسيلة ١٠

اللهم صل على فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها
والسر المستودع فيها بعدد ما أحاط به علمك

هذه النسخة المكتوبة، الموسومة بـ«وُدُّ السُّلطان»، هي مختصرٌ وخلاصةٌ لمقالة شاملة تناولت بالشرح الكامل الموثّق المقاطع المنتخبة من الخُطَب النورانية لأمير المؤمنين عليّ (عليه السلام)، وهي: الخطبة المباركة التطنجية، والخطبة المباركة الافتخار، والخطبة المباركة المفاخرة، والخطبة المباركة النورانية، والخطبة المباركة الوسيلة، مع ذِكر دقيق للمصادر والمراجع.

وقد تمّ في تلك النسخة تناولُ شرح بدايات فِقَر خُطَب أمير المؤمنين (عليه السلام) التي افتُتحت بالضمير المنفصل «أنا» بصورةٍ مفصّلةٍ وكاملة، كما اشتملت على التعريف بالخُطَب وبيان شرح المقاطع المختارة منها بأسلوبٍ سلسٍ وعذب، مستندا إلى آيات القرآن الكريم، وأحاديث وروايات الأئمة الأطهار (عليهم السلام)، وإلى البيانات والكتب القيّمة للعلماء والفقهاء والحكماء.

الخطبة المباركة التطنجية

نقل المرحوم الحافظ رجب البرسي في كتاب «مشارق أنوار اليقين» خطبةً منسوبةً إلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، اشتهرت باسم «الخطبة التطنجية». وقد اشتُقَّ اسم هذه الخطبة من لفظة «التطنج» التي تعني الخليج. ثم حظيت هذه الخطبة باهتمام عددٍ من العلماء، وأشير إليها في بعض المصادر، مثل: «المجموع الرائق»، و«الذريعة»، و«الشافي في العقائد والأخلاق والأحكام».

ويتحدث أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذه الخطبة عن بعض فضائله وإحاطته العلمية، ويكشف عن حقائق تتعلق بمقامه الشريف بصورةٍ تثير دهشة المخاطب، ويعسر على العقول إدراك معانيها على وجهها الكامل.
ومن بين المقاطع التي حظيت بأهميةٍ خاصة وأثارت التساؤلات، قوله:

«أَنَا الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ»

ففي النظرة الأولى، تُعدّ هذه الأسماء الأربعة من الأسماء الإلهية التي نسبها القرآن الكريم إلى الله سبحانه وتعالى، ومن هنا فإنّ نسبتها إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) تحتاج إلى بيانٍ وتوضيح.
في شرحِ قولِه: «**أنا الأوّل**»، يُشار أوّلًا إلى مسألةِ الميثاقِ الإلهي. فقد ورد في الآية ١٧٢ من سورة الأعراف أنّ الله تعالى أخذ الميثاق من النبيّ والأئمّة الاثني عشر من بعده، وكذلك حين نادى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾، كان أوّلُ من قال: ﴿قالُوا بَلىٰ﴾ رسولُ الله (صلى الله عليه وآله)، والإمامُ عليّ (عليه السلام)، والأئمّةُ المعصومون.
فعليٌّ هو الأوّل؛ أي أوّلُ من أُخذ منه الميثاق، وأوّلُ من سبق إلى قبولِ ربوبيةِ الله تعالى.
وفي موضعٍ آخر، كما يقولُ هو (عليه السلام):
«أنا الأوّلُ فأنا أوّلُ مَن آمن بالله وأسلم»،
فكونه الأوّل يُفهم منه أنّه أوّلُ من آمن بالله ودخل في الإسلام.

أمّا قولُه: «**أنا الآخِر**»، ففي معناه الأوّل يرتبط بمسألةِ الرجعة ونهايةِ السَّير الظاهريّ للأئمّة؛ حيث وُصِفَ أمير المؤمنين (عليه السلام) بأنّه «آخرُ من تُقبَضُ روحُه»، وقد ذُكر ذلك في بعض التفاسير المرتبطة بقوله تعالى: ﴿وَ يَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً﴾.

فهذا اليوم هو يومُ رجوع المؤمنين الذين قُتِلوا ليذوقوا الموتَ مرّةً أخرى، ولا يرجع إلّا مؤمنٌ محضٌ أو مشركٌ محض.

وفي زمن الرجعة يُفرّق أميرُ المؤمنين (عليه السلام) بين الحقّ والباطل بالعصا والميسم اللذين يكونان معه:

«وَ مَعَكَ مِيسَمٌ تَسِمُ بِهِ أَعْدَاءَكَ».

وكذلك فإنّ لكونه «الآخِر» معنىً آخر، وهو أنّه آخرُ من لَقِيَ رسولَ الله (صلى الله عليه وآله)، وآخرُ من تولّى تجهيزَه ودفنَه؛ كما قال (عليه السلام):

«أنا الآخِرُ فأنا آخِرُ مَن سَجّى النبيَّ ثوبَه ودفنَه».

وأمّا في تبيينِ قولِه «**أنا الظاهرُ وأنا الباطن**»، فإنّ المحورَ الأساس هو العلم. فقد أشار أميرُ المؤمنين (عليه السلام) مراراً إلى أنّ ما عُلِّمَه رسولُ الله (صلى الله عليه وآله) من المعارف والعلوم قد أُودِعَ في صدره بتعليمِه. ومن هنا يقول (عليه السلام):

«سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي، هَذَا سَفْطُ الْعِلْمِ، هَذَا لُعَابُ رَسُولِ اللَّهِ، هَذَا مَا زَقَّنِي رَسُولُ اللَّهِ زَقّاً، فَاسْأَلُونِي فَإِنَّ عِنْدِي عِلْمَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ».

فهو يدعو الناس إلى أن ينهلوا من العلم الذي أفرغه رسولُ الله (صلى الله عليه وآله) في جوفه، وأن يغتنموا وجودَ هذه الجوهرة النقيّة بينهم ما دام حاضراً، لأنّ عنده علمَ الأوّلين والآخرين.

فهو «الظاهر» لأنّ علومَ الوحي ظاهرةٌ فيه ومكشوفةٌ لديه، وهو «الباطن» لأنّ أسرارَ النبيّ قد استقرّت في باطنِ وجوده.

وكلُّ واحدٍ من هذه الأسماء الأربعة، حين يُنسب إلى أمير المؤمنين (عليه السلام)، يحمل معنىً يختلف عن المعنى الذي يُنسب إلى الله تعالى. فمن عطش إلى فهم شيءٍ من هذه المعاني، وتأمّل فيها بعمق، اقترب من مولاه؛ أمّا من نظر إلى ظاهر هذه الأسماء فقط، وبادر منذ البداية إلى وصفها بالغلوّ، فإنّه يُحرَم من سعة هذه المعارف وعظيم أسرارها.

الخطبة النورانيّة الافتخار

ومن جملة الخطب البارزة والنورانيّة المنسوبة إلى مولانا أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام)، الخطبةُ المباركة المعروفة بـ«الافتخار»، وهي من الخطب التي حظيت بمكانةٍ خاصّة في التراث الحديثيّ والكلاميّ عند الشيعة والعامّة، وقد نُقلت في مصادر متعدّدة، منها: مشارق أنوار اليقين، اللوامع النورانية، عبقات الأنوار، نفحات الأزهار، إلزام الناصب، الدُّرّ المنظَّم، وينابيع المودّة.

و«الافتخار» مشتقٌّ من مادّة «الفخر»، بمعنى إظهار المناقب والفضائل. ولمّا كانت هذه الخطبة تشتمل على بيان المقامات النورانيّة لأمير المؤمنين (عليه السلام) وأهل البيت (عليهم السلام) بلسانٍ ظاهرٍ مفعمٍ بالفخار، اشتهرت بهذا الاسم. وهذه الخطبة، إلى جانب ذكر المقامات النورانيّة لأهل البيت (عليهم السلام) وشؤون الإمامة، تتضمّن بياناً للمعارف التوحيديّة والولائيّة، كما تشتمل على أخبارٍ تتعلّق بما سيجري على الأمّة من حوادث في المستقبل.

ومن الفقرات المختارة في هذه الخطبة المباركة، والتي تحمل أعمق المعارف النورانيّة وتشير إلى المقام الملكوتيّ لأمير المؤمنين عليّ (عليه السلام)، قوله:

«أَنَا البَيْتُ المَعْمُور، أَنَا السَّقْفُ المَرْفُوع، أَنَا البَحْرُ المَسْجُور»

أي: أنا البيتُ العظيمُ المعمورُ في السماء، وأنا السقفُ الإلهيُّ المرفوع، وأنا البحرُ المتدفّقُ المشتعلُ الممتلئ.

فـ«**البيت المعمور**» موضعٌ مقدّسٌ وآمنٌ في السماء، تطوف به الملائكة باستمرار، وهم مشتغلون فيه بذكر الله تعالى، ولذلك سُمّي «معموراً»؛ إذ هو موضعُ عبادةٍ وتجليٍّ للرحمة الإلهيّة.

وأمّا «**السقف المرفوع**»، فهو بمنزلة قبّةٍ تعلو العالم، لها الإحاطة والإشراف على الوجود، وهو موضع نزول الأوامر الإلهيّة ومستقرّ الملائكة. وهذا السقف شاهدٌ على أعمال العباد، ومنه تجري المقادير على أساس العدل الإلهي.

وأمّا «**البحر المسجور**»، فهو البحر الإلهيّ العظيم الكائن تحت العرش؛ البحر الذي تتحقّق فيه مقادير كثيرٍ من شؤون العالم وتدابيره، وقد عُدَّ منبعَ الحياة وأصلَ سائر البحار

وعلى هذا الأساس، فإنّ مولانا أمير المؤمنين عليّاً (عليه السلام)، بوصفه الحقيقةَ الملكوتيّة لـ«البيت المعمور»، هو مركزُ هدايةِ أهل السماء، ومحورُ اجتماعهم، ومظهرُ الرحمة الإلهيّة، وبه تكتمل عبوديّةُ الله تعالى في ظلّ ولايته.

ومن هنا ورد في الروايات أنّ مَثَلَه كمَثَلِ كعبةِ الهداية التي ينبغي للخلق أن يفدوا إليها ويسارعوا نحوها.

فذِكرُه عبادةٌ لله، وولايتُه الحصنُ الحصينُ الإلهيّ الذي بسط ظلَّ الأمان الإلهيّ على العالم بأسره.

ولهذا السبب، ارتبط «السقف المرفوع» في بعض الروايات بالقبّة النورانيّة للنجف الأشرف. وهذا الارتباط يكشف أنّ الحقيقةَ نفسها التي تكون في عالم الملكوت «سقفاً مرفوعاً»، قد تجلّت في عالم المُلك بصورة القبّة النورانيّة لأمير المؤمنين عليّ (عليه السلام).

وأمّا التجلّي الآخر لهذا الإمام المبين فهو «البحر المسجور»؛ أي بحرُ الفيض الإلهيّ الذي لا ساحل له، ومنبعُ العلم والحياة، ومجرى التقدير والمشيئة الإلهيّة في العالم. إنّه بحرٌ ممتلئٌ بالفيض، متّقدٌ بالنور، قد عمّت أمواجُه أرجاءَ الخليقة، وتجري الحياةُ المعنويّة للعباد من خلال الاتّصال به.

كما ورد في المصادر أنّ وجودَه المقدّس هو: «الْمُحِيطُ بِجَوَامِعِ عِلْمِ الْكِتَابِ»، وأنّه: «الْإِمَامُ الْمَاءُ الْعَذْبُ عَلَى الظَّمَإِ وَالدَّالُّ عَلَى الْهُدَى».

وكلُّ هذا ليس إلّا قطرةً من بحرِ معرفةِ الإمام الذي لا ساحل له؛ بحرٌ لا نطيق منه إلّا تذوّق شيءٍ يسير، أمّا حقيقته وكنهه فلا نهاية لهما.

الخطبة النورانيّة المفاخرة

إنّ «المفاخرة» في سيرة أهل البيت (عليهم السلام) إنّما هي لبيان مقامهم الوجوديّ والتعريف بحقائقهم النورانيّة. وأكملُ صورِ هذه المفاخرة وأعلاها ما نجده في بيان الفضائل المتبادلة بين أمير المؤمنين (عليه السلام) وكفوِهِ الوحيد سيّدتنا الصدّيقة الطاهرة (سلام الله عليها)، حيث يعبّران بضمير «أنا» إشارةً مباشرةً إلى الحقيقة الوجوديّة لذواتهما المقدّسة. ومن هنا اشتهرت هذه الخطبة باسم «الخطبة المباركة المفاخرة». وهي خطبةٌ نورانيّة تشهد على حبٍّ أزليّ يمتدّ إلى الأبد، حتى صار كلُّ حبٍّ مقدّس يستمدّ معناه من مدار نورهما.

ومن أبرز المصادر التي نقلت هذه الخطبة: كتاب الفضائل لشاذان بن جبرئيل، وكتاب عوالم العلوم والمعارف للبحراني الأصفهاني.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام):

«أَنَا الْمَثَانِي وَ الْقُرْآنُ الْحَكِيمُ»

وفي شرح هذا المقطع الشريف، ذُكرت في التفاسير معانٍ متعدّدة لكلمة «المثاني»، منها: التكرار، والازدواج، والثناء والمدح، وميلُ الشيء إلى نظيره واقترانُ أحد الطرفين بالآخر.

وفي بيان قوله النوراني: «**أنا المثاني**»، يمكن الإشارة إلى ثلاثة معانٍ من معاني المثاني ومصاديقها:

١. **ظاهرُ القرآن وباطنُه**: فالمثاني تدلّ على وجهي القرآن؛ الظاهر والباطن، المجتمعين معاً. وأمير المؤمنين (عليه السلام) هو ظاهرُ التنزيل وباطنُ التأويل؛ كما قال (عليه السلام): «أنا الأوّل والآخر، والظاهر والباطن».

٢. **عِدلُ القرآن وقرينُه**: ومن معاني «المثاني» أيضاً المماثلة والاقتران. وبناءً على كلام الإمام الباقر (عليه السلام) في تفسير قوله تعالى في سورة الزمر، الآية ٢٣، فإنّ حقيقة «المثاني» تشير إلى اقتران الوجود المقدّس للإمام بالقرآن الكريم؛ اقتراناً لا انفصال بعده إلى يوم القيامة: «لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ». فأمير المؤمنين (عليه السلام) هو أصل الإمامة وجوهرها، وهو الثِّقل المقترن بالقرآن، وهذا معنى آخر لقوله: «أنا المثاني».

٣. أُمُّ الكتاب: إنّ «السَّبع المثاني» في النصوص تُطلق على سورة الحمد المباركة، ولذلك فقد شاع في كثيرٍ من الأحاديث إطلاقُ «المثاني» على «السَّبع المثاني»، أي سورة الفاتحة. ولمّا كان أمير المؤمنين (عليه السلام) قد عُرِّف في الروايات بأنّه حقيقةُ «أُمِّ الكتاب» و«النقطةُ تحت الباء»، فإنّه يُعدّ الحقيقةَ الباطنة لهذه السورة المباركة، وبالتالي أصلَ القرآن كلّه وأساسَه، وهذا معنىً آخر لقوله: «أنا المثاني».

«أنا القرآن الحكيم»

فإنّ القرآن وُصف بأنّه «حكيم» لما فيه من الإحكام والثبات، ولكونه منبعَ الحكمة. ومن هنا، فإنّ الله تعالى سمّى الآيات المحكمة «أمَّ الكتاب»، وقد فسّر الإمام الصادق (عليه السلام) «المحكمات» بوجود أمير المؤمنين والأئمّة (عليهم السلام). وعليه، فإنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) هو الحقيقةُ المحكمةُ الثابتة للقرآن، التي تُفسَّر سائرُ الآيات وتُحكَّم في ضوء نورها.

فالنتيجة أنّ الوجود المبارك لأمير المؤمنين (عليه السلام) هو في آنٍ واحد: ثِقلُ القرآن وقرينُه، وهو أصلُ القرآن وجامعُه، وهذا معنى «أنا المثاني»، وهو كذلك حقيقةُ القرآن نفسه وصاحبُ محكماته، أي معنى قوله: «أنا القرآن الحكيم».

ونحن اليوم نُسلِّم على إمام زماننا الحيّ، الذي هو ثمرةُ ذلك العشق العلويّ والفاطميّ، بقولنا:

«السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا تَالِيَ كِتَابِ اللَّهِ وَتَرْجُمَانَهُ...»

ونسأل الله أن يُحيي القرآنَ الصامتَ من جديد بظهور حضرته، عبر وجوده الشريف الذي هو نورُ عين تلك الحقيقة القرآنيّة، وأن يرزقنا مشاهدة «النور السرمديّ» لهذا القرآن الناطق، كما ورد في الدعاء المأثور.

وكما أنشد الشاعر:

ما أطيبَ أن يُسمَعَ صوتُ القرآن منك أيّها الآسرُ للقلوب،
وأن يكونَ التأمّلُ في وجهك استماعاً لكلامِ الله تعالى.

الخطبة النورانيّة

تُعَدُّ خطبةُ «النورانيّة» المنسوبة إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) من أهمّ وأعلى الخطب مقاماً، وهي معروفةٌ بعنوان «معرفة الإمام بالنورانيّة» و«الخطبة النورانيّة». وقد حظيت بمكانةٍ بارزة في الجوامع الحديثيّة والكلاميّة عند الشيعة والعامّة، ونُقلت في مصادر متعدّدة، منها: مشارق أنوار اليقين، بحار الأنوار، المناقب، إلزام الناصب، وكتاب الولاية الكليّة للعلّامة الميرجهاني، كما أشار إليها الملا هادي السبزواري في آثاره.

وفي هذه الخطبة، يتشرّف سلمان وأبو ذرّ، وهما من خواصّ أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام)، بالحضور بين يديه، ويسألانه عن معنى معرفته بالنورانيّة. فيقول (عليه السلام): «مَعْرِفَتِي بِالنُّورَانِيَّةِ مَعْرِفَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَعْرِفَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَعْرِفَتِي بِالنُّورَانِيَّةِ».

وهذا البيان يكشف أنّ معرفةَ الإمام هي عينُ معرفة الله تعالى.

وفي مقطعٍ من هذه الخطبة الشريفة يقول أمير المؤمنين (عليه السلام):

«أَنَا الْحَاقَّةُ، أَنَا الْقَارِعَةُ، أَنَا الْغَاشِيَةُ»

وهذه الكلمات الثلاث هي أسماءٌ لسورٍ مباركةٍ من القرآن الكريم.

«أنا الحاقّة»

فإنّ «الْحَاقَّةُ» مشتقّةٌ من الجذر «حقّ»، وهو ما يدلّ على الأمر الثابت المتحقّق. وقد سُمِّيَت القيامةُ بهذا الاسم لأنّها الحقيقةُ الحتميّة التي لا ريب فيها. وفي سورة الحاقّة يقول تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ، مَا الْحَاقَّةُ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ وهذا يدلّ على أنّ حقيقةَ القيامة لا تُدرَك إلّا عن طريق الوحي الإلهي.

وأمّا معنى «الحقّ» في النصوص الشريفة من القرآن الكريم وروايات أهل البيت (عليهم السلام)، فإنّه ينطبق على أمير المؤمنين (عليه السلام)، كما ورد: «عَلِيٌّ مَعَ الْحَقِّ وَالْحَقُّ مَعَ عَلِيّ». وفي يوم «الحاقّة» يكون الحسابُ على أساس ولايته (عليه السلام)، وفي ذلك اليوم يظهر الحقّ ظهوراً تامّاً على الجميع.

فأمير المؤمنين (عليه السلام) هو المعنى المطلق للحقّ.

وفي ذلك اليوم الموعود، حين تصطفّ الخلائق للحساب، تدخل الصدّيقة الكبرى فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) إلى أرض المحشر، ويُؤمر الخلق: «غُضُّوا أَبْصَارَكُمْ». وعندها يُنظَر في الحقّ المغصوب، ويكون أميرُ العالمين، صاحبُ ذلك الحقّ العظيم، أوّلَ من يرفع دعواه بين يدي الله تعالى؛ فيطالب بحقّه، وبالظلم الذي أنزله غاصبو فدك بزوجته الشهيدة (سلام الله عليها)، وبإسقاط المحسن المظلوم بن عليّ (عليهما السلام)، وبجميع الحقوق التي ضاعت إثر تلك المظلوميّة العظمى والمصيبة الكبرى. أمّا «الحاقّة» فهي للمكذّبين بهذا الحقّ عذابٌ أليمٌ مهول.

«أَنَا الْقَارِعَة»

ويقول أمير المؤمنين (عليه السلام) في الخطبة النورانيّة: «أنا القارعة».
وقد قال تعالى في الآية الرابعة من سورة الحاقّة ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾ أي إنّ قوم ثمود وعاد كذّبوا بالعذاب الإلهيّ القارع، فرأوا العاقبةَ الوخيمة لذلك.
و«القارعة» مشتقّةٌ من «قرع»، وهو الضرب الشديد والطرق القويّ. وهي أيضاً من أسماء يوم القيامة.
وفي سورة القارعة يقول تعالى ﴿الْقَارِعَةُ ۝ مَا الْقَارِعَةُ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ ثمّ تُبيّن الآيات معنى القارعة، فتصف ذلك اليوم العظيم الذي يكون فيه الناسُ من شدّة الهول كالفراش المبثوث، وتكون الجبال كالعهن المنفوش، ثم تُعرض الأعمال وتُوزن الموازين: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۝ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۝ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾

وقد ورد عن الصادقين (عليهما السلام) في التفسير أنّ قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ هو أمير المؤمنين (عليه السلام)، وأمّا قوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ فهو من أنكر ولاية عليّ (عليه السلام)، فيكون مصيره: ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾، أي مأواه النار.
وفي الخطبة النورانيّة يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): «مَنْ كَانَ ظَاهِرُهُ فِي وِلَايَتِي أَكْثَرَ مِنْ بَاطِنِهِ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ». وهذا الكلام الشريف يكشف عن عظمة مقام الولاية العلويّة، وما يترتّب على التخلّي عنها أو إنكارها من عواقب خطيرة.

ومن المعاني الباطنيّة لثمود في الآيات، جماعةٌ من الشيعة الذين اختاروا العمى على الهدى، فكذّبوا إمامهم. وأمّا «القارعة» والعذاب القارع الذي ينزل بهم، فهو سيفُ القائم (عجل الله تعالى فرجه الشريف).

«أَنَا الْغَاشِيَة»

وفي مقطعٍ آخر من الخطبة، يقول مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام): «أنا الغاشية». والغاشية أيضاً من أسماء يوم القيامة، وهي في اللغة بمعنى الأمر الذي يغشى ويعمّ ويحيط بالجميع كالغِطاء والسِّتر. قال تعالى:

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾

وقد ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) في تفسير هذه الآية أنّ المقصود هم الذين يغطّون الإمام الحقّ ويستبدلون به غيرَه ممّن ليس بإمامٍ بحقّ. كما ورد عنه (عليه السلام) أيضاً أنّ معناها أنّ الإمام القائم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) يغشاهم بسيفه ويحيط بهم به.

فأمّا الذين يقبلون الولاية، فأحوالهم طيّبة وعاقبتهم حسنة، وأمّا المعرضون عنها، فإنّ نصيبهم سيفُ القائم عند الظهور، والنارُ يوم القيامة.

إنّ حقيقة القيامة والمعاد كلّها تنتهي إلى ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام). وبحسب العبارات الشريفة الواردة في الخطبة النورانيّة، فإنّ سرَّ معرفة الله، وحقيقة النبوّة، والصراط، والميزان، والمعاد، كلّها لا تُفهَم إلّا من خلال ولاية مولى الموالي.

ومن هنا، فإنّ على جميع العباد وشيعة أمير المؤمنين (عليه السلام) أن يتدبّروا ويتأمّلوا في الكلمات النورانيّة للقرآن الصامت، وللحضرات الذين هم القرآن الناطق، ليكونوا حملةً للمعارف الإلهيّة الخالصة، فيبلغوا حقيقة العبوديّة والغاية التي خُلقوا من أجلها.

الخطبة النورانية الوسيلة

تُعَدُّ خطبةُ «الوسيلة» من الخطب المهمّة المنسوبة إلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، وقد نُقلت وأشير إليها في مصادر شيعيّة معتبرة، منها: الكافي للشيخ الكليني، الوافي، بحار الأنوار، مستدرك الوسائل، الذريعة، وغيرها من الكتب الحديثيّة والتفسيريّة. وقد رواها جابر بن يزيد الجعفي، وهو من الثقات من رواة أهل البيت (عليهم السلام)، عن الإمام محمد الباقر (عليه السلام).

وقد أُلقيت هذه الخطبة في المدينة بعد سبعة أيّام من شهادة رسول الله (صلوات الله عليه وآله)، في زمنٍ تعرّض فيه المجتمع الإسلاميّ للانحراف والاختلاف، حيث غُصبت الخلافة التي كانت ـ بنصّ النبيّ ـ حقّاً لأمير المؤمنين (عليه السلام)، وانحرف مسار الأمّة عن الولاية الإلهيّة.

وفي مثل هذا الظرف، قام الإمام (عليه السلام) لإقامة الحجّة وكشف حقيقة مقام الإمامة، فعرّف بنفسه من خلال بيان «أنا»؛ ذلك البيان الذي يُمثّل في حقيقته إظهارَ حقيقة الهداية في مواجهة الانحراف الذي نشأ بعد شهادة النبيّ (صلوات الله عليه وآله).

وبعد أن ذكر فضائل رسول الله (صلوات الله عليه وآله) ودورَه في إظهار الولاية، أشار (عليه السلام) إلى غصب الخلافة؛ ذلك الظلم الذي ارتكبه أبو بكر وعمر (لعنة الله عليهما)، والذي انتهى بهما إلى التلاعن والتبرّي من بعضهما في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى:

﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي...﴾

ثمّ قال أمير المؤمنين (عليه السلام):

فَأَنَا الذِّكْرُ الَّذِي عَنْهُ ضَلَّ، وَأَنَا السَّبِيلُ الَّذِي عَنْهُ مَالَ وَأَنَا الْإِيمَانُ الَّذِي بِهِ كَفَرَ، وَأَنَا الْقُرْآنُ الَّذِي إِيَّاهُ هَجَرَ وَأَنَا الدِّينُ الَّذِي بِهِ كَذَّبَ، وَأَنَا الصِّرَاطُ الَّذِي عَنْهُ نَكَبَ

«فَأَنَا الذِّكْرُ الَّذِي عَنْهُ ضَلَّ»

فالذِّكر هو ولايةُ أمير المؤمنين (عليه السلام)، تلك الحقيقة التي كان رسول الله (صلوات الله عليه وآله) يُنذر الناس بها على الدوام. ولا ينتفع بإنذار النبيّ إلّا من اتّبع هذا «الذِّكر». أمّا الأوّل والثاني (لعنة الله عليهما)، فقد أضلّا الناس عن هذا الذكر الإلهي، واستبدلا به الكفرَ والضلال.

«وَأَنَا السَّبِيلُ الَّذِي عَنْهُ مَالَ»

أي إنّي أنا الطريق الذي انحرفوا عنه. فقد عرّف رسول الله (صلوات الله عليه وآله) الإمامَ عليّاً (عليه السلام) مراراً بأنّه السبيل الوحيد للهداية، لكنّهم في قضيّة السقيفة، وحديث القرطاس، وغيرهما، وقفوا في وجه هذه الحقيقة، وصرفوا الناس عن سبيل الله الذي هو ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام).

«وَأَنَا الْإِيمَانُ الَّذِي بِهِ كَفَرَ»

فالإيمان الحقيقيّ هو محبّةُ الإمام عليّ (عليه السلام) وولايتُه، كما قال رسول الله (صلوات الله عليه وآله): «حُبُّكَ إِيمَانٌ وَبُغْضُكَ كُفْرٌ».

فالذين تركوا الولاية أنكروا حقيقة الإيمان، فحبطت أعمالهم وضاعت.

«وَأَنَا الْقُرْآنُ الَّذِي إِيَّاهُ هَجَرَ»

أي إنّي أنا القرآن الذي هُجِر. فبعد شهادة رسول الله (صلوات الله عليه وآله)، رفضوا المصحف الذي جمعه أمير المؤمنين (عليه السلام)، لأنّ حقائق الولاية كانت ظاهرةً فيه. ومن خلال الابتعاد عن هذا المرجع المبيِّن، وإقصاء حقيقة الولاية، تمّ تجاهل الارتباط القائم بين عليّ والقرآن، كما ورد: «عَلِيٌّ مَعَ الْقُرْآنِ وَالْقُرْآنُ مَعَ عَلِيٍّ».

وبذلك صار هذا الإعراض مصداقاً لهجر القرآن والانفصال عن فهمه الحقيقيّ

«وَأَنَا الدِّينُ الَّذِي بِهِ كُذِّبَ»

أي إنّي أنا حقيقةُ الدين الإلهيّ التي جرى تكذيبُها.

فمنذ البداية، تأسّس مسارُ السقيفة على إنكار الولاية، وكان الأوّل والثاني (لعنة الله عليهما) ـ بما حملاه من بقايا الشرك وعدم التسليم للولاية ـ قد رفضا هذا الدين ووقفا في مواجهته وكذّباه. ثمّ استمرّ هذا التكذيب عمليّاً بعد شهادة رسول الله (صلوات الله عليه وآله) من خلال غصب الخلافة وإحداث الانحراف في مسار الأمّة، ففُصل الدين عن حقيقته الأصيلة.

وليس تكذيبُ الدين إلّا إنكارَ الولاية والخروجَ عن حقيقة الهداية الإلهيّة.

«وَأَنَا الصِّرَاطُ الَّذِي عَنْهُ نَكَبَ»

يعرّف الإمام عليّ (عليه السلام) نفسَه بأنّه «الصراط المستقيم»، ذلك الطريق الذي أمر القرآنُ باتّباعه، وهو طريق الولاية.

وهذا الصراط هو امتدادُ طريق الهداية، ومحورُ وحدة الأمّة. لكنّ الناس، بعد شهادة النبيّ (صلوات الله عليه وآله) وبعد واقعة الغدير، أعرضوا عن هذا الطريق الإلهيّ الوحيد، فانحرفوا وضلّوا.

فجميع الحقائق الإلهيّة، من الذِّكر، والسبيل، والقرآن الكريم، والإيمان، والدين، والصراط، والهداية، إنّما تجد معناها الكامل في ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام)؛ تلك الولاية التي تجلّت بأتمّ صورها في كربلاء، والتي ستتحقّق غايتُها الكاملة بظهور بقيّة الله (أرواحنا له الفداء).

اللَّهُمَّ عَجِّلْ لِوَلِيِّكَ الْفَرَجَ

اللَّهُمَّ عَجِّلْ لِمَوْلَانَا الْمَظْلُومِ الْفَرَجَ

اللَّهُمَّ عَجِّلْ لِمَوْلَانَا الْغَرِيبِ الْفَرَجَ

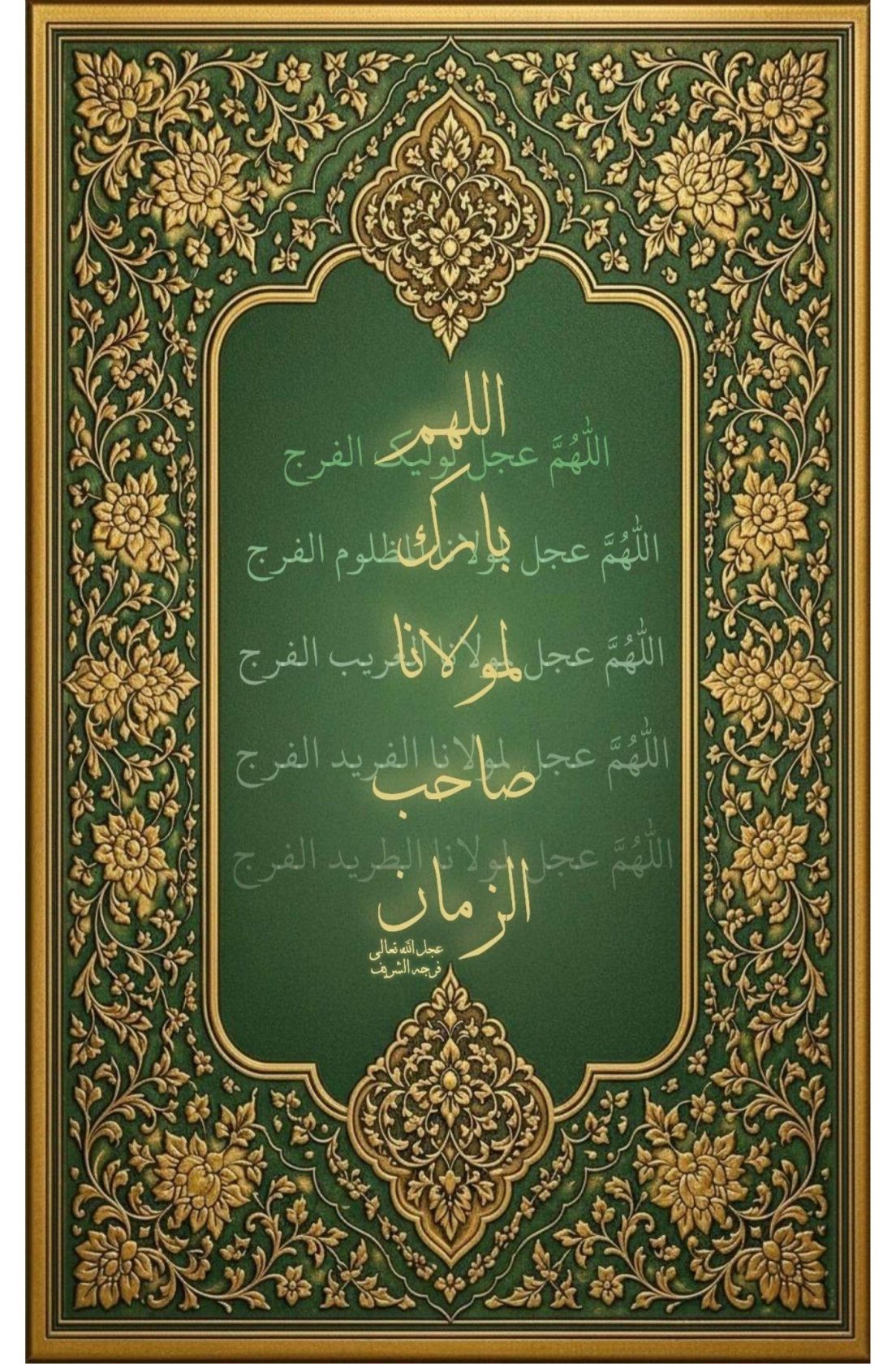
اللهم
اللّٰهُمَّ عجل لوليك الفرج
يا رب
اللّٰهُمَّ عجل بوليك المظلوم الفرج
مولانا
اللّٰهُمَّ عجل لولانا الغريب الفرج
صاحب
اللّٰهُمَّ عجل لولانا الفريد الفرج
الزمان
اللّٰهُمَّ عجل لولانا الطريد الفرج
عجل الله تعالى
فرجه الشريف